الصاعقة الخامسة والخمسون: لجنّيّةٍ أم غادةٍ رُفعَ السَّجفُ(*)

لجنّيّـــةٍ أم غـــادةٍ رُفعَ الســـجْفُ ... لوحشيـةٍ لا مـا لوحشـيّـةٍ شنْفُ(١)

نفُـورٌ عـرتْهـا نفـرةٌ فـتـجـاذَبَتْ ... سوالفُها والحليُ والخصرُ والرِّدْفُ(٢)

وخَـيَّلَ منهـــا مـــرطُهـــا فكأنما ... تثنّى لنا خـوطٌ ولاحَظَنا خِـشْفُ(٣)

زيادةُ شـــيبٍ وهي نقصُ زيادتي ... وقـوةُ عـشقٍ وهي منْ قـوتي ضـعْفُ

أراقتْ دمي منْ بي من الوجدِ ما بها ... من الوجدِ بي والشوقُ لي ولها حلْفُ

أكَـيْـدًا لنا يا بينُ واصلتَ وصلنا ... فـلا دارُنـا تدنو ولا عـيـشُنا يصْـفُـو

أردِّدُ ويلي لو قـضى الويلُ حـاجـةً ... وأكـثـرُ لـهـفي لو شـفَى غلّةً لـهْفُ

ضنىً في الهوى كالسمّ في الشهدِ كامنًا ... لذذتُ بـه جـهلًا وفي اللذةِ الحـتْفُ

فـأفنى ومـا أفنتْـهُ نفـسي كـأنما ... أبو الفـرج القاضي له دونهـا كـهْفُ

قليلُ الكرى لو كانتِ البيضُ والقَنَا ... كـآرائه ما أغنتِ البَـيْضُ والزغْفُ(٤)

يقـوم مقـام الجـيشِ تقطيبُ وجهـه ... ويستغرقُ الألفاظَ من لفظه حرْفُ

وإن فـــقـــدَ الإعطاءَ حنّتْ يمينُهُ ... إليـــه حنينَ الإلفِ فـــارقَـــهُ الإلْفُ

(*) مناسبة القصيدة: قالها يمدح أبا الفرج أحمد بن الحسين القاضي المالكي.

(١) الغادة: المرأة الجميلة. السجف: الستر. الوحشية: الظبية. الشنف: ما يعلق بأعلى الأذن.

(٢) الردف: الكفل.

(٣) المرط: كساء من صوف يؤتزر به. الخشف: ولد الغزال.

(٤) البيض: جمع بيضة من حديد تلبس على الرأس. الزغف: الدروع.

أديبٌ رستْ للعلمِ في أرضِ صدرِه ... جبالٌ جبالُ الأرض في جنبها قُفُّ[١]

جوادٌ سمتْ في الخيرِ والشرِّ كفُّهُ ... سموًّا أودَّ الدهرَ أنَّ اسمَه كفُّ

وأضحى وبينَ الناسِ في كلِّ سيدٍ ... منَ الناسِ إلا في سيادتِه خُلْفُ

يفدّونَه حتى كأنَّ دماءَهم ... لجاري هواهُ في عروقِهمُ تقْفو

وقوفَينِ في وقفَينِ شكرٍ ونائلٍ ... فنائلُهُ وقفٌ وشكرُهمُ وقفُ

ولمَّا فقدْنا مثلَهُ دامَ كشفُنا ... عليهِ فدامَ الفقدُ وانكشفَ الكشفُ[٢]

وما حارتِ الأوهامُ في عُظْمِ شأنِه ... بأكثرَ مما حارَ في حُسْنِه الطرفُ

ولا نالَ منْ حسّادِه الغيظُ والأذى ... بأعظمَ مما نالَ منْ وفرِه العُرفُ

تَفكّرُهُ علمٌ ومنطقُهُ حُكْمٌ ... وباطنُهُ دينٌ وظاهرُهُ ظرفُ

أماتَ رياحَ اللؤمِ وهي عواصفٌ ... ومغنى العُلى يودي ورسمُ الندى يعفو

فلم نرَ قبلَ ابنِ الحسينِ أصابعًا ... إذا ما هطلنَ استحيتِ الديمُ الوُطفُ[٣]

ولا ساعيًا في قلةِ المجدِ مدركًا ... بأفعالِه ما ليسَ يدركُهُ الوصفُ

ولم نرَ شيئًا يحملُ العبْءَ حملَهُ ... ويستصغرُ الدنيا ويحملهُ طرفُ

ولا جلسَ البحرُ المحيطُ لقاصدٍ ... ومنْ تحتِه فرشٌ ومن فوقِه سقْفُ

فوا عجبا مني أحاولُ نعتَهُ ... وقد فنيتْ فيه القراطيسُ والصُّحفُ

---

(١) القفّ: التلّ.

(٢) كشفنا: بحثنا.

(٣) الوطف: جمع وطفاء: المسترخية لكثرة مائها.

ومن كثرةِ الأخبارِ عن مكرماته ... يمرّ له صنْفٌ ويأتي له صنفُ
وتفترّ منه عن خصالٍ كأنها ... ثنايا حبيبٍ لا يملّ لهُ رشفُ
قصدْتُكَ والراجون قصدي إليهمُ ... كثيرٌ ولكنْ ليسَ كالذنَبِ الأنفُ
ولا الفضَّةُ البيضاءُ والتبرُ واحد ... نفوعانِ للمكدي وبينهُما صرفُ[1]
ولستَ بدونٍ يُرتجى الغيثُ دونهُ ... ولا منتهى الجودِ الذي خلفَهُ خلفُ
لا واحداً في ذا الورى منْ جماعةٍ ... ولا البعضَ منْ كلٍّ ولكنكَ الضِّعفُ
ولا الضِّعف حتى يتبعَ الضعفَ ضِعفُه ... ولا ضِعفَ ضِعفِ الضِّعفِ بل مثلَه ألفُ
أقاضينا هذا الذي أنتَ أهلُهُ ... غلطتُ ولا الثُّلثانِ هذا ولا النّصفُ
وذَنبيَ تَقصِيري وما جئتُ مَادِحًا ... بذنبي ولكنْ جئتُ أسألُ أنْ تَعفُو

(١) المكدي: الفقير. الصرف: الفضل.